

تاج العروس من جواهر القاموس

فإِنَّ زَهْرَهُمْ حَمَلُواهُ عَلَى الْكُلِّ . قُلْتُ : وَهَكَذَا فَسَّرَ أَبُو الْهَيْثَمِ الْآيَةَ .
 أَيْضاً . قَالَ ابْنُ سَيْدِهِ : وَلَيْسَ هَذَا عِنْدِي عَلَى مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ أَهْلُ اللُّغَةِ .
 مِنْ أَنْ النَّبْعُ فِي مَعْنَى الْكُلِّ . هَذَا نَقَضٌ وَلَا دَلِيلَ فِي هَذَا الْبَيْتِ .
 لِأَنَّ زَهْرَهُمْ إِنْ مَعْنَى بِنْعَضِ النَّفُوسِ نَفْسَهُ . قَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ
 بْنُ يَحْيَى : أَجْمَعَ أَهْلُ النَّحْوِ عَلَى أَنَّ النَّبْعُ شَيْءٌ مِنْ أَشْيَاءِ أَوْ
 شَيْءٌ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا هَشَامًا فَإِنَّ زَهْرَهُ زَعَمَ أَنْ قَوْلَ لَبِيدٍ : أَوْ يَعْتَلِقُ
 إِلْخَ فَادَّعَى وَأَخْطَأَ أَنْ النَّبْعُ هُنَا جَمْعٌ وَلَمْ يَكُنْ هَذَا مِنْ عَمَلِهِ ؛
 وَإِنَّمَا أَرَادَ لَبِيدٌ بِنْعَضِ النَّفُوسِ نَفْسَهُ . قَالَ : وَقَوْلُهُ تَعَالَى :
 يُصِيبُكُمْ بَعْعُ الَّذِي يَعِدُّكُمْ " أَرَّهَ كَانَ وَعَدَهُمْ بِشَيْئَيْنِ عَذَابِ الدُّنْيَا
 وَعَذَابِ الْآخِرَةِ فَقَالَ : يُصِيبُكُمْ هَذَا الْعَذَابُ فِي الدُّنْيَا وَهُوَ بَعْعُ
 الْوَعْدَيْنِ مِنْ غَيْرِ أَنْ نَفَى عَذَابَ الْآخِرَةِ . وَقَالَ أَبُو إِسْحَاقَ فِي قَوْلِهِ :
 بَعْعُ الَّذِي يَعِدُّكُمْ " مِنْ لَطِيفِ الْمَسَائِلِ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
 وَسَلَّمَ إِذَا وَعَدَ وَعَدًا وَقَعَّ الْوَعْدُ بِأَسْرِهِ وَلَمْ يَقَعَّ بِنَعْبِهِ فَمِنْ أَيْنَ
 جازَ أَنْ يَقُولَ بَعْعُ الَّذِي يَعِدُّكُمْ وَحَقُّ اللَّفْظِ : كَلُّ الَّذِي
 يَعِدُّكُمْ وَهَذَا بَابٌ مِنَ النَّظَرِ يَذْهَبُ فِيهِ الْمُتَنَاطِرُ إِلَى الْإِزَامِ حُجَّتِهِ
 بِأَيْسَرِ مَا فِي الْأَمْرِ وَلَيْسَ هَذَا فِي مَعْنَى الْكُلِّ وَإِنَّمَا ذَكَرَ النَّبْعُ
 لِأَنَّ الْكُلَّ لِأَنَّ النَّبْعُ هُوَ الْكُلُّ . وَنَقَلَ الْمُصَنِّفُ فِي الْبَصَائِرِ عَنْ
 أَبِي عُبَيْدَةَ كَلَامَهُ السَّابِقَ إِلَّا أَنَّ زَهْرَهُ ذَكَرَ فِي اسْتِدْلَالِهِ قَوْلَهُ
 تَعَالَى : " وَلَا يُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْعُ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ " أَيْ كَلُّ وَذَكَرَ
 قَوْلَ لَبِيدٍ أَيْضاً . قَالَ : هَذَا قُصُورٌ نَظَرَ مِنْهُ ذَلِكَ أَنَّ الْأَشْيَاءَ عَلَى
 أَرْبَعَةٍ أَضْرُبٍ : ضَرْبٍ فِي بَيَانِهِ مَفْسَدَةٌ فَلَا يَجُوزُ لِصَاحِبِ
 الشَّرِيعَةِ بَيَانُهُ كَوَقْتِ الْقِيَامَةِ وَوَقْتِ الْمَوْتِ . وَضَرْبٍ مَعْقُولٍ يُمَكِّنُ
 لِلنَّاسِ إِدْرَاكُهُ مِنْ غَيْرِ نَبِيٍّ كَمَعْرِفَةِ اللَّهِ وَمَعْرِفَةِ خَلْقِ السَّمَوَاتِ
 وَالْأَرْضِ فَلَا يَلْزَمُ صَاحِبَ الشَّرْعِ أَنْ يُبَيِّنَ لِأَنَّ تَرَى أَنَّ أَرْبَعَةَ أَصْنَافٍ
 مَعْرِفَتُهُ عَلَى الْعُقُولِ فِي نَحْوِ قَوْلِهِ " قُلْ أَنْظَرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ
 وَالْأَرْضِ " وَقَوْلِهِ : " أَوْلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَائِكُوتِ السَّمَوَاتِ " وَضَرْبٍ يَجِبُ
 عَلَيْهِ بَيَانُهُ كَأَصُولِ الشَّرْعِيَّاتِ الْمُخْتَصَّةِ بِشَرْعِهِ . وَضَرْبٍ يُمَكِّنُ

الْوُقُوفُ عَلَيْهِ بِمَا يُبَيِّنُهُ صَاحِبُ الشَّرْحِ كَفُرُوعِ الْأَكْدَامِ . فَإِذَا
اِخْتَلَفَ النَّاسُ فِي أَمْرٍ غَيْرِ الَّذِي يَخْتَصُّ بِالنَّبِيِّ بِبَيَانِهِ فَهُوَ
مُخَيَّرٌ بَيْنَ أَنْ يُبَيِّنَ وَيُخَيَّرَ أَنْ لَا يُبَيِّنَ حَسَبَ مَا يَقْتَضِيهِ
اجْتِهَادُهُ وَحِكْمَتُهُ . وَأَمَّا الشَّاعِرُ فَإِنَّهُ عِنْدَ نَفْسِهِ . وَالْمَعْنَى إِلَّا
أَنْ يَتَدَارَكَهُ الْمَوْتُ لَكِنْ عَرَّضَ وَلَمْ يُصَرِّحْ تَفَادِيًا مِنْ ذِكْرِ
مَوْتِ نَفْسِهِ فَتَأْمَلْ .

بغض